آلهة الأرض

وضعه بالانكليزية فقيد الشعر والفن

المرحوم جبران خليل جبران

تعريب

الأرشمندريت انطونيوس بشير

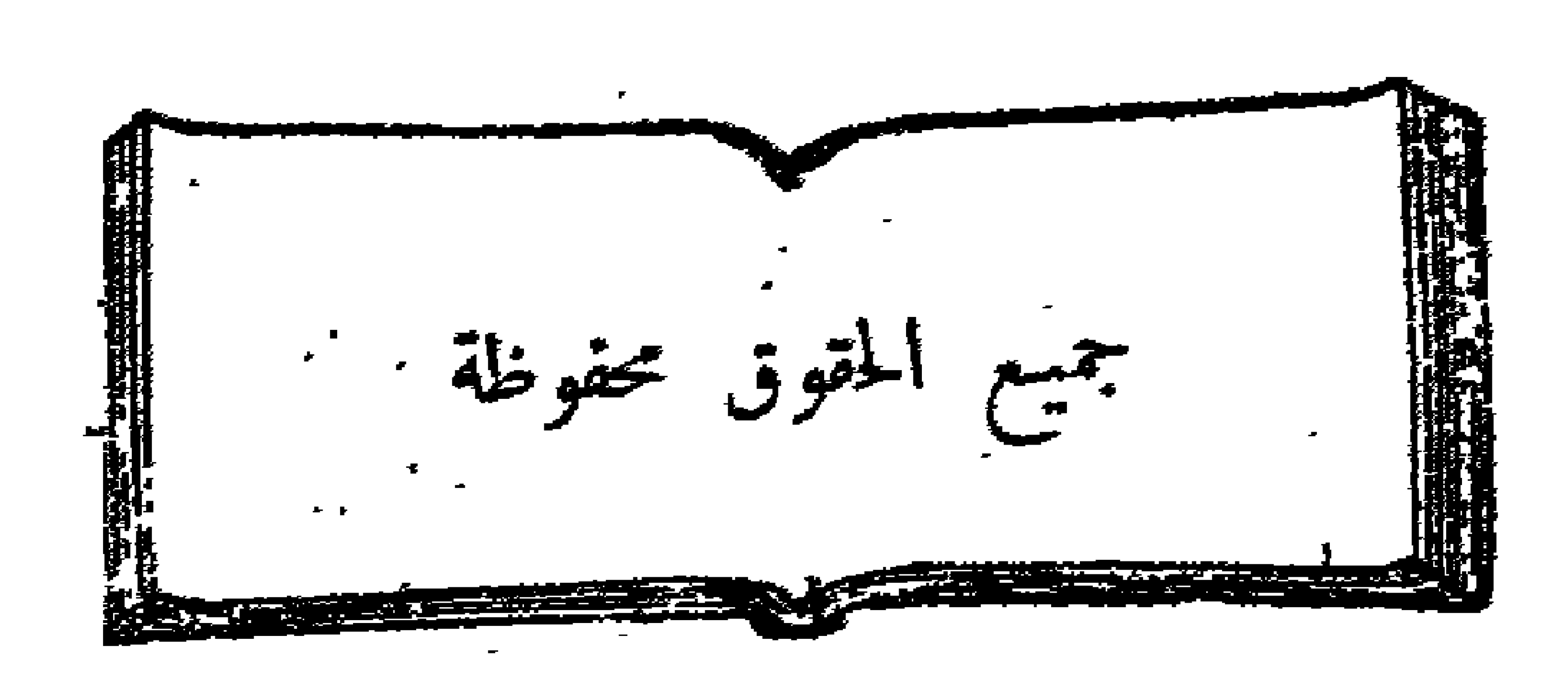
صاحب مجلة الخالدات

(الطبعة الثالثة)

المطبعة العصرية

بالفجالة بمصر - ص . ب ٩٥٤

(Printed in Egypt.


جميع الحقوق محفوظة



تأليف

المرحوم جبران خليل جبران

تعريب

الأرشمندريت أنطونيوس بشير

(الطبعة الثالثة)

المطبعة العصرية

بالفجالة بمصر – ص . ب ٩٥٤



وعندما حلَّتْ ليلةُ العصر الثاني عشر ،
وابتلع الصمتُ ، الذي هو مدُّ بحر الليل ،
جميعَ التلال ،
ظهر الالهة الثلاثة ، المولودون فى الأرض ،
وأسياد الحياة ، على الجبال .
فتراكضت الأنهار إلى أقدامهم ،
وغمرت أمواج الضباب صدورهم ،
وارتفعت رؤوسهم بجلالٍ فوق العالم .
ثم تكلموا ، فتموَّجَتْ أصواتهم ، كالرعد
البعيد فوق السهول .

الاله الأول

ان الريح تهب شرقاً ،
فأريد أن أحوّل وجهي نحو الجنوب ،
لأن الريح تملأُ مشامتّي برائحة الأشياء الميتة .

الاله الثانى

هذه رائحة الأجسام المحترقة ، وهى لذيذة وسخيّة ،
وأنا أودّ أن أتنشقها .

الاله الأول

هى رائحة الميتوتة المحترقة على لهيبها الضئيل .
وهى تملأ دقائق الهواء بوفرة ،
فتزعج حواسّى كما يزعجها الهواء الفاسد فى الهاوية .
ولذلك أريد أن أحوّل وجهى إلى الشمال الذى لا رائحة فيه

الاله الثانى

انها العبير الملتهب للحياة المثمرة ،
وهى ما أود أن أتنشقه الآن وفى كل أوان .
انما تعيش الآلهة على التضحية ،
وتبرّد غلّةَ عطشها بالدم ،
وتسكّن قلوبها بالنفوس الفتيّة ،
وتشدّدُ عزائمها بالتأوهات الدائمة التى تصعّدها أرواح القاطنين فى قلب الموت ،
وعروشها مبنية على رماد الأجيال .

الاله الأول

قد سئمت روحى كل ما هو كائن .
فأنا لن أمدّ يداً لأخلق عالماً
ولا لأمحو عالماً من الوجود ،
انى ما كنت لأعيش لو اننى قادر أن أموت ،
لأن ثقل الأعصر كلها على كتفي .
وهدير البحر الذى لا ينقطع يستنفد كنوز نومى .
فياليت لى أن أخسر المطلب الأول ،
فأزول كالشمس الزائلة .
أود لو أستطيع أن أجرّد ألوهيتى من غايتها
لأنفخ أنفاس ميتوتتى فى الفضاء ،
فلا أكون فيما بعد .
ياليت لى أن أحترق وأمضى من ذاكرة الزمان ،
إلى فراغ الأزمان ؟

الاله الثالث

أصغيا يا أخويَّ ، أصغيا أيها الشقيقان القديمان .
فان شاباً فى ذلك الوادى
ينشد مكنونات قلبه فى اذن الليل .
ان قيثارته من الذهب والأبنوس ،
وصوته من الفضة والذهب .

الاله الثانى

انني لست مغروراً بهذا المقدار لأتمنى أن لا أكون .
فأنا لا أقدر أن أختار إلا أصعب الطرق ،
لأتبع الفصول واعضد شوكة السنين ،
لأزرع البذور وأراقبها تنفذ إلى قلب الأرض ،
لأدعو الزهرة من مخبأها وأسلحها بقوة لتحضن حياتها ، ثم أعود فأقلعها عندما تضحك العاصفة فى الغابة ، لأُنْهِضَ الإنسان من الظلمة السرّيّة ،
ولكننى أحفظ لجذوره حنينها إلى الأرض ،
لأغرس فيه العطش للحياة ، وأجعل الموت حامل أقداحه ،
لأعطيه المحبة النامية بالألم ، المتسامية بالشوق ، المتزايدة بالحنين ، والمضمحلة بالعناق الأول .
لأمنطق لياليه بأحلام الأيام العلوية ،
واسكب فى أيامه رؤى الليالى المقدسة ،
ثم أحكم على أيامه ولياليه بالمماثلة التى لا تتغير ،
لأجعل خياله كالنسر على الجبل ،
وأفكاره كعواصف البحار ،
ثم أعطيه يداً بطيئة فى الحكم ،
وقدماً ثقيلة فى التأمل ،
لأمنحه مسرة ليترنم أمامنا ،

وكآبة ليلتجىء إلينا
ثم اجعله وضيعاً عند ما تصرخ الأرض فى مجاعتها طالبة طعاماً ،
لأرفع نفسه عاليةً فوق الجلد
ليصير قادراً على مذاقه غدنا ،
واحفظ جسده يتمرغ بالحمأة
لكي لا يتناسى ذكر أمسه .
هكذا يليق بنا أن نحكم الانسان إلى منتهى الزمان ،
مقيّدين النسمة التى تبدأ بصراخ أمه ،
وتنتهى بنواح أولاده .

الاله الأول

ان قلبي يحترق عطشاً ، بيد أنى لا أريد أن أشرب دماً ضعيفاً لجنس ضعيف ،
لأن الكاس ملطخة ، والعصير الذى فيها مرّ المذاق فى فمى .
وأنا مثلك قد عجنت الطين وصنعت منه أشكالاً متنفسة لم تلبث أن سقطت من بين أصابعى إلى الاجام والتلال .
وأنا مثلك قد أنرتُ الأعماق المظلمة لبداءة الحياة ،
وراقبتها تزحف من الكهوف إلى الأعالى الصخرية .
أنا مثلك قد أحضرت الربيع ووضعت جماله ،
ليكون غواية تقبض على الشباب وترغمه على الانتاج والتكاثر .
أنا مثلك قد سرتُ بالانسان من مزار إلى مزار ،

وحولت مخاوفه الصماء من الغير المنظورات إلى إيمان مضطرب بنا
من غير أن يرانا أو يعرفنا .
أنا مثلك قد جعلت العاصفة الهوجاء على رأسه ،
لينحنى أمامنا
وزعزعت الأرض تحت قدميه حتى يصرخ الينا ،
ومثلك ، أثرتُ الاوقيانوس البربري فطغا على عش جزيرته ،
حتى مات فى توسله إلينا .
كل هذا فعلته ، وأكثر منه .
وكل ما فعلته فارغ باطل .
باطلة هى اليقظة وفارغ هو النوم
وثلاث مرات باطل وفارغ هو الحلم .

الاله الثالث

يا أخويَّ ، ان غابة الريحان تلك فتاة ترقص للقمر ،
وفى شعرها ألف نجمة من الندى ،
وحول قدميها ألف جناح .

الاله الثانى

اننا قد غرسنا الانسان ، كرمتنا ،
وفلحنا الأرض فى الضباب الأرجوانى للفجر الأول .
وراقبنا الأغصان النحيلة نامية ،

وغذينا الاوراق الفتية على ممر الايام والسنين التى لم تعرف الفصول
وحصّنا البراعم ضد العناصر الغضوبة ،
وحرسنا الزهرة من اعتداء الأرواح المظلمة .
والآن ، وقد أخرجت كرمتنا عنبها ،
فأنتم لا تحملونه إلى المعصرة لتملأوا الأقداح .
فأيّة أيدٍ أقدر من أيديكم ستجمع الثمر ؟
وأي مطلب أنبل من عطشكم ينتظر الخمرة ؟
فالانسان طعام للآلهة .
ومجد الانسان يبتدئ عندما تمتص شفاه الآلهة المقدسة نسمته الهائمة على غير هدى .
كل ما هو بشريّ لا قيمة له إذا ظل بشريًّا ،
إن طهارة الأطفال ، ووجد الشباب اللذيذ ،
وهوى الرجولة العزومة ، وحكمة الشيخوخة الناضجة ،
إن مجد الملوك ، ونصر المحاربين ،
وشهوة الشعراء ، وشرف الحاكمين والقديسين ،
كل هذه ، وكل ما تحمله فى ثناياها ، هو خبز الآلهة .
وهى لن تكون إلا خبزاً بغير بركة إذا لم ترفعها الآلهة إلى أفواهها .
وكما أن حبة الحنطة الصمّاء تتحول إلى أنشودة محبة عندما يبتلعها البلبل ،
هكذا الانسان إذا كان خبزاً للآلهة يتذوّق الالوهية .

الاله الأول

نعم ، ان الانسان هو خبز الآلهة !
وكل ما هو من الانسان سيأتى إلى مائدة الآلهة الخالدة !
آلام الحمل ، وعذاب الولادة ،
صراخ الأطفال الذى يشق كبد الليل ،
وغمّ المرأة وهى تصارع النوم الذى تتوق اليه
لتسكب الحياة الذاوية من ثدييها .

الأنفاس الملتهبة الخارجة من صدور الشباب المتقطعة ، والعبرات المثقلة بأحمال الأهواء التى لا تفتح خزائنها بعد . جباه الرجولة القاطرة عرقاً وهى تحرق الارض الجدباء ، وتحسرات الشيخوخة الذابلة ، عندما تدعو الحياة ــ ضد إرادة الحياة ــ إلى القبر .

تأملوا هذا هو الانسان !
مخلوق يلده الجوع فيصير طعاماً للآلهة الجائعة ،
وكرمة تدبّ فى تراب الأرض تحت أقدام الموت الذى لا يموت .
زهرة تزهر فى ليالى الأشباح الشريرة ،
وعنبٌ لا ينضجُ إلا فى أيام الدموع والرعب والعار .
وأنتم على رغم هذا كله تطلبون إلىّ أن آكل وأشرب ،
وترغبون إلىَّ أن أجلس بين الوجوه المكفّنة ،
واستقى حياتى من الشفاه الصخرية ،
وأقتبل خلودى من الأيدى اليابسة !

الاله الثالث

يا أخويّ ، أيها الاخوان الراعبـــان
إن الشباب يغنى فى أعماق الوادى ،
ولـكن أنشودته تتصاعد إلى أعالى الجبال .
وهو يهز الغابة بصوته ، ويشقّ كبد السماء
ويبدّد أحلام الأرض

الاله الثـانى

(يصم اذنيه دائمًا)
ان النحـــلة تطنُّ بغلاظة فى اذنيك ،
والعسل مرّ المذاق فى فمك .
انى أود أن أعزيك ،
ولـكن أنّى السبيل الى ذلك ؟
فليس يصغى غير الهاوية عندما تخاطبُ الآلهة الآلهةَ ،
لأن الهوّةَ الفاصلة بين الآلهة لا تحد ولا تقاس ،
والفضاء صامت لا ريح فيه .
ومع كل هذا اريد أن أعزيك ،
أريد أن أجعل دائرتك المتلبّـدة بالغيوم نقية صافية ،
ومع أننا متساويان بالقوة والفهم ،
فانى أريد أن اُخلص لك النصح .

عندما خرجت الأرض من الفضــاء ، ورأينا نحن ، أبناء البدء ، أحدنا الآخر فى النور الذى لا عيب فيه ، حينئذ أصعدنا الصوت الخفيّ ، المرتعش ، الأول ، الذى أنعش مجارى الهواء والماء .

ثم مشينــا ، جنباً إلى جنب ، على سطح العــالم الفتيّ الشيخ ، ومن صــدى خطواتنا البطيئــة ولُبدَ الزمان ، إلاهاً رابعــاً ، فاقتفى آثار خطواتنا ، وأظلم بخياله أفكارنا ورغباتنا ، ولم يَرَ إلا بنور عيوننا .

ثم جاءت الحياة إلى الأرض ، وجاءت الروح إلى الحيــاة ، وكانت الروح نغماً مجنّحاً فى الوجود ، فحكمنا على الحيــاة والروح ، ولم يقدر أحدٌ غيرنا على معرفة مقاييس السنين ، وموازين الأحلام السديمية فى الأعوام ، حتى جاء العصر الســابع فَزَفَفْنَــا فى مدّ ظهــيرته البحرَ عروساً للشمس .

ومن مضجع هــذا الزواج المقدس أخرجنــا الانسان ، الذى على رغم ضعفه وسقمه ، ما برح يحمل شارة والديه .

وبواسطة الانسان ، الذى يمشى على الأرض وعينــاه فى النجوم ، قد وجدنا طرقاً نافذةً إلى أبعد الاصقاع النائيــة فى الأرض ، ومن الانسان ، وهو القصبة الوضيعة النامية على الميـــاه المظلمة ، قد صنعنا مزماراً نسكب من قلبه الفارغ صوتنا إلى العالم الصامت فى جميع أرجائه .
ومن الشمال الذي لاشمس فيــه ، إلى رمال الجنوب المحترقة بالشمس ،
ومن أرض عرائس النيل حيث تولد الأيام
إلى جزائر الأخطار حيث تذبح الأيام ،
ترى الانسان الضعيف القلب ، يتشجع بغايتنا ،

فيغامر بالقيثارة والسيف .
فهو يذيع ارادتنا .
ويعلن سيادتنا ،
والمجارى التى يطؤها بأقدام محبته هى أنهار سائرة الى بحر رغباتنا .
فنحن ، جالسين على أعالينا . نحلم أحلامنا فى نوم الانسان .
اننا نحث أيامه لنفارق وادى الشفق البعيد،وتَنشُد كمالها على التلال.
وأيدينا تسيّر العواصف التى تجرف العالم ،
وتحمل الانسان من السلامة العقيمة إلى الجهاد المثمر ،
ومن ثَمَّت إلى الانتصار .
وفى أعيننا بصيرة نيّرة تحوّل نفس الانسان إلى لهيب ،
وتقوده إلى وحدة رفيعة ونبوءة ثائرة ،
ومن ثَمَّت إلى الصلب .
فقد وُلد الانسان للعبودية ،
وبالعبودية شرفه ومكافأته .
بالانسان نطلب علامةً لما بنا ،
وبحياته ننشد كمال ذواتنا .
فاذا أخرسَ ترابُ الأرض قلب الانسان ، فأىّ قلبٍ يستطيع أن يُرجّعَ صدى صوتنا ؟
واذا عميت عيون الانسان بظلمة الليل.فمن يستطيع أن يرى لمعانَ مجدنا؟
فماذا يجب أن نفعل بالانسان وهو إبن قلبنا الأول ، وهو صورتنا ومثالنـــا ؟

الاله الثالث

يا أخوىّ ، أيها الأخوان القديران ،
ان قدمىّ الراقصة الحسناء قد سكرتا بخمرة الانشاد ،
فأثارتا دقائق الهواء المرتعشة ،
وهى كالحمامة تحلق مرتفعة بجناحيها .

الاله الأول

القبَّرة تنادى القبَّرة ،
ولكن النسر يحوم فوقها .
وهى لا تتوقف لتصغى إلى الانشاد .
أنت تريد أن تعلن محبة الذات متمثّلةً بعبادة الانسان . وراضية بعبودية الانسان .
ولكن محبة ذاتى لا حدَّ لها ولا قياس .
فأنا أريد أن أسمو على ما يموت منى فى الأرض ،
وأتخذ لى عرشاً فى السماوات .
فأمنطق الفضاء بذراعىّ ، واحيط بالأفلاك .
وأريد أن أتخذ من المجراة قوساً ،
ومن المذنّبات سهاماً .
وباللانهاية أريد أن أحكم اللانهاية .
أما أنت فلا تريد أن تفعل هذا ولو كان فى منالك .

فنسبة الانسان الى الانسان ،
هي كنسبة الآلهة إلى الآلهة .
وأنت تريد أن تحمل إلى قلبي التَـعَـبِ ،
ذكرى الأدوار المنقضية فى الضباب ،
فى حين أن نفسى نشدت ذاتها بين الجبال ،
وعينىّ تعقبتا صورتهما فى المياه الهاجعة .
ولـكن عروس أمسى قَـضتْ نحبها فى اثناء ولادتها ،
فالصمت فقط يزور رحمها .
والرمال التى تقذفها الرياح ترضع ثديها .
فيا أمسى ، أيها الأمس المائت ، يا والد الوهيتى المقيَّدة ،
أىّ إله عظيم قبض عليك فى طيرانك ،
وأرغمك على الولادة فى قفص ؟
وأية شمس جبارة بعثت حرارتها فى بطنك لتلدنى ؟
انى لا أباركك . ولـكننى لا ألعنك ،
فـكما انت أثقلت كاهلى بأحمال الحياة
هكذا أثقلتُ أنا كاهل الانسان .
بيد أننى كنت أقلّ قساوة منك .
فأنا الخالد ، قد جعلت الانسان ظلاً زائلاً ،
أما أنت ، المائت ، فقد خلقتنى خالداً .
فيا أمسى ، أيها الأمس المائت ،
هل تعود مع الغد البعيد ،

فأقودك إلى المحاكمة ؟
وهل تستيقظ مع الفجر الثانى للحياة ،
فأمحو ذاكرتك العالقة بالأرض من الأرض ؟
أودّ لو أنك تقوم مع جميع الأموات القدماء .
حتى تختنق الأرض بأثمارها المريرة ،
وتنأن جميع البحار بدماء المذبوحين فيها ،
ويستنزف الويل فوق الويل كل ما فى الأرض من الخصب
الذاهب عبثًا .

الاله الثالث

يا أخوىّ ، أيها الاخوان القدّيسان .
قد سمعت فتاتنا الأنشودة الساحرة ،
وهى تفتش الآن عن المرنّم
وهى كالخشف ، فى دهشة مسرّتها
ترقص فوق الصخور والجداول
فتديرها فى جميع الجهات .
ما أجمل الغبطة التي ترافق المطالب المائتة ،
والعين التى تفتحها الغاية النصف المولودة .
ما أحلى الابتسامة المرتجفة لِما ستتمتع به من الغبطة الموعود بها !
أيّة زهرة تساقطت من السماء .
أى لهيب ارتفع من الجحيم ،

فحمل قلب الصمت إلى هذا الفرح والخوف المقطع الأنفاس ؟
أى حلم حلمناه على الأعالى .
أىّ فكرٍ بعثناه فى الريح ،
فأيقظ غفلة الوادى
وفتح عينى الليل ؟

الاله الثانى

انك قد أُعطيتَ النول المقدس
وأُعطيت الفن لحياكة الثياب .
فالنول والفن سيكونان لك إلى الأبد ،
وسيكون لك معهما الخيط الأسود والنور ،
ولك أيضًا الارجوان والذهب .
وأنت مع كل هذا تحوك من نفسك ثوبًا .
قد نسجت يداك نفس الانسان من الهواء الحىّ والنار ،
وأنت تريد الآن أن تقطع الخيط ،
وتطلق أصابعك الشعرية فى الأبدية الخاملة .

الاله الأول

نعم نعم ، اننى سأطلق يدي فى الأبدية التى لم تُسبَك فى قوالبها بعد ،
وفى الحقول التى لم تطأها قدمٌ سأطلق قدمىّ ،
فأية مسرة لى فى سماع الأناشيد التى طالما سمعها غيرى ، التى تلتقط

ذاكر الأذن أنغامها قبل أن يسلمها النَفَسُ إلى أمواج الهواء ؟
ان قلبي يحنُّ إلا ما لا يستطيع أن يتصوره ،
وأنا لن أرسل روحى إلا إلى عالم الغير المجهول الذى لا تقطن فيه الذاكرة

بربك ، لا تجربنى بمجد فارغ ،
ولا تطلب لى تعزية بأحلامك أو أحلامى ،
لأن كل ما فىَّ ، وكل ما فى الأرض ،
وكل ما سيكون فى الوجود ، لا يقدر أن يستهوى نفسى .
فيا نفسى ،
ان وجهك صامت ،
وأشباح الليل نائمة فى عينيك .
ولكن صمتك راعب ،
وأنت راعبة .

الاله الثالث

يا أخوىَّ ، أيها الاخوان الرصينان ،
ان الفتاة قد وجدت المرنم .
فهى تنظر وجهه المحبوب .
وهى كالنمر تتخطر بخطوات ساحرة
بين الدوالى والأسيجة المتموجة .
وهو ينظر إليها الآن فى وسط أناشيد محبته .

أواه يا أخويّ ، أيها الاخوان الغافلان ،
هل هنالك إلاهٌ آخر يتألم وقد حاك من آلامه هـذا النسيج القرمزيّ والأبيض ؟
أي نجم جامح قد أفلت هاربًا ؟
ومن يفصل الليل عن النهار بسره ؟
ومن يضع يده على عالمنا ؟

الاله الأول

يا نفسي ، يا نفسي ،
أيتها الدائرة المحترقة التي تمنطقني بلهيبها ،
كيف أستطيع أن أقود سيرك ،
وإلى يّ فضاء أدير شوقك ؟
يا نفسي التي لا رفيق لها ،
انك في مجاعتك تصطادين ذاتك ،
وبدموعك تريدين أن تبرّدي عطشك ،
لأن الليل لا يجمع نداه في أقداحك ،
والنهار لا يحمل إليك أثماره
يا نفسي ، يا نفسي ،
أنت تحملين سفينتك إلى الشاطئ وهي مثقلة بأحمال الرغبات .
فمن أين تأتي الرياح لتملأ شراعك ،
وأي مدّ فيّاضٍ يقدر أن يحرر دفّتك ؟

ان مرساتك حاضرة وجناحيك على أهبة الطيران ،
ولـكن السماء صامتة فوقك ، ·
والبحر الهادئ يهزأ بسكونك .
فأي رجاء ثمت لي ولك ؟
وأي تقلب في العوالم ، أو تبدل في غايات السماء سيطلبك ؟
هل يحمل رحم عذراء اللانهاية زَرْعَ منقذك ،
ذلك الذي هو أقدر من أحلامك ،
وستنقذكِ يدهُ من عبوديتك ؟

الاله الثاني

احبسْ صُراخك اللجوج ،
وأنفاس قلبك الملتهب ،
لأن أُذن اللانهاية صماء
وغافلةٌ هي عين السماء .
فنحن كل ما وراء العالم وكل ما فوقه ،
وبيننا وبين الأبدية الغير المحدودة لا يوجد شيء
غير أهوائنا التي لم تتشكل ، وغاياتها التي لم تتكمل .
أنت تستهوي الغير المعروف ،
والغير المعروف ، المرتدي بالضباب المتحرك ،
انما يقطن في أعماق نفسك .
نعم ، في أعماق نفسك يضطجع منقذك نائمـاً ،

وهو يرى فى نومه ما لا تراه عيناك المستيقظتان .
هذا هو سرّ كياننا .
فهل تعرض عن جمع حصادك ،
لتلق بذارك بعجلة فى اتلام أحلامك ؟
وعلامَ تبسط سُحبُك فى الحقول الخربة ،
فى حين أن قطيعك يفتش عنك ،
وانت عبثاً تجمع فى خيالك ؟
فتأنَّ ، وامعن نظرك فى العالم .
انظن إلى أولاد محبتك الغير المفطومين .
ان الارض هى مسكنك ، والأرض هي عرشك ،
وفوق أرفع آمال الانسان تقبض يدك على قسمته .
أنت لا تريد أن تتركه —
وهو المجاهد أن يصل اليك بمسراته وآلامه .
وأنت لا تحول عينيك عن الحاجة التى فى عينيه .

الاله الأول

هل يضمّ الفجر قلب الليل إلى صدره ؟
أم هل يعبأ البحر بأجسام موتاه ؟
كالفجر تنهض نفسى فى أعماق —
عارية غير متحيّرة .
وكالبحر الذى لا يستريح —

يطرح قلبي عنه النفاية الزائلة من الأرض والانسان :
انني لن أعلق بكل من يعلق بي .
ولكنني أريد أن أسمو إلى ذلك المتسامي فوق ما تصل اليه قوتي .

الاله الثالث

يا أخويّ ، تأمّلا أيها الأخوان ،
ان روحين سائرتين الى النجوم قد اجتمعتا في الجوّ للحساب .
وهما تنظران الواحدة الى الأخرى بصمت وسكون .
ان المرنّم قد انقطع عن الغناء ،
ولكن حلقه الذي حرقته الشمس يرتعش بالأناشيد ،
ولرفيقته الراقصة قد سكن الرقص في أعضائها —
بيد انه لم ينمْ .
يا أخويّ ، أيها الأخوان الغريبان ،
ان الليل يشتد ادلهامًا ،
والبدر يزدادُ اشراقًا ،
وبين الغابة والبحر .
تصرخ المحبة بأعلى الصوت تدعوكما وتدعوني الى قلبها .

الاله الثاني

يالتفاهة الكيان ، والنهوض ، والاحتراق أمام الشمس الملتهبة ،
والحياة والمراقبة لليالي الأحياء —

كما تراقبنا عين الجوزاء !
يا لحقارة مجابهة الرياح الأربعة برأس مكلل رفيع ،
وشفاء أسقام الناس بأنفاسٍ لا مدّ فى بحرها !
ان الخيّام جالس يخبط خبط عشواء أمام نوله ،
والخزّاف يدير دولابه بعدم اكتراث ،
أما نحن ، الذين لا ينامون ، ويعرفون كل شئ ،
فقد أُعتقْنا من ظلمة الظن والتخمين .
فنحن لا نتردد ولا نمعن الفكر والنظر .
لأننا قد سمونا رفعة على جميع الأسئلة القلقة .
فلنعش مطمئنين ، ولنطلق طيور أحلامنا من أقفاصها .
وكالأنهار فلنسكب فى البحر —
من غير أن تديرنا حافات الصخور ،
فاذا بلغنا قلب اللجة ، وابتلعتنا أمواجها ،
انقطعنا عن المجادلة والتأمل فى مصير الغد ، إلى الأبد .

الاله الاول

أفٍّ من ألم هذا التكهّن الذى لا ينقطع ،
وهذا السهر السائر بالنهار إلى الشفق ،
والذاهب بالليل إلى الفجر ،
أفٍّ من هذا المدّ الذى يحملنا إلى الذكرى الدائمة ،
والنسيان الدائم ،

وهذا الزرع المتواصل لبذار الاقدار التى لا تحصد منها غير الآمال،
وهذا الرفع الغير المتغير للذات من التراب إلى الضباب ،
لتحنّ إلى التراب ، ثم تسقط بحنينها إلى التراب ،
ثم لا يلبث أن يتضاعف حنينها فتنهض ناشدةً الضباب ثانية .
أفٍّ من هذا القياس الذى بغير أوانه للزمان الذى لا يتغير .
وهل تحتـــاج نفسى إلى أن تصير بحراً تزعج مجاريه بعضها بعضاً
لى الأبـــد ،
أو جوّاً تتحول فيه الرياح المتحاربة إلى زوبعة ؟
لو كنت رجلا ، لو كنت عبيراً أعمى ، —
لـكان فى طوق الصبر على كل هذا .
أو لو كنت الاله الأعلى ، الذى يملأ فراغ الانسان والآلهـة ،
لـكنت أكتفى بذاتى .
ولـكن أنا وأنت لسنا بشراً ،
ولا نحن بالعلىّ الذى فوقنـا .
ولـكننا أشفاق (جمع شَفَق) لا تنقطع عن الظهور والزوال من
أفق إلى أفق .
وآلهة ، نمسك بالعالم ويمسك العالم بنا .
وقد قضى علينا أن ننفخ بالأبواق ،
ولـكن الروح النافخة والموسيقى الخارجة من أبواقنا ليست منـا بل
تأتى من فوق .
لذلك ترانى أرغب فى الثورة .

أريد أن أستنزف ما بى حتى أصير فارغاً .
أريد أن أبتعد عن بصيرتك ،
أريد أن أختفى من ذاكرة هذا الشاب الصامت ، الذى هو أخونا الأصغر ، الجالس قريباً منـا يتأمل فى ذلك الوادى ،
ومع أن شفتيه تتحركان ، فهو لا ينطق بكلمة .

الاله الثـالث

انى أتـكلم ، أيها الاخوان الغافلان ،
انى أتـكلم بالحقيقة ،
ولـكنكما لا تسمعان غير حديثكما .
أطلب إليكما أن تنظرا مجدكما ومجدى ،
بيد أنكما تتحولان ، وتطبقان أجفانكما ،
وتهزّان عرشيكما .
فيا أيها الحاكمان الراغبان فى السيادة على العالم العلوى والعالم السفلىّ ،
أيها الالهان الانانيّـان اللذان لا ينقطع أمسهما عن حسد غده ،
أيها التـعبَـان من أثقال ذاتكما ، المهدِّئان حدة غضبكما بالـكلام ، والضاربان محاجرنا بالصواعق !
ليست مخاصمتكما سوى صوت القيثارة القديمة —
التى نسيت أصابـع القدير نصف الضرب على أوتارها —
ذلك الذى الجوزاءُ عودُهُ والثريا صنُـوجُـه ،
وهو حتى فى هذه الساعة التى تتمتـمان وتدمدمان فيها يضرب على

عوده وصنوجـه ،
فألتمس منكما أن تصغيا إلى أنشودته .
انظرا ، رجلا وامرأة ،
لهيباً مع لهيب ،
يذوبان وجداً وهيـاماً .
جذور ترضع ثدي الأرض الارجوانى ،
وزهور من نار على صدر السماء .
ونحن الثدي الارجوانى ،
ونحن السماء الباقيـة .
ان نفسنا . التى هى نفس الحياة ، نفسكما ونفسى ،
انما تقيم الليلة فى حلقٍ ملتهب ،
مجللة جسم فتاةٍ طاهرة ، بثوب من الأمواج الثائرة .
ان صولجانكما لن يغير هذه القسمة المعدة لنـا ،
وهمومكما هى الطموح بعينه .
لأن هذا جميعه سيمحى من الوجود فى هوى الرجل والمرأة .

الاله الثانى

وما شأن هذه المحبـة بين الرجل والمرأة ؟
تأمل كيف ترقص الريح الشرقية بقدميها الرشيقتين ،
وتنهض الريح الغربية مترنمة بأنشودته .
انظر إلى محجتنا المقدسـة جالسة على عرشها الآن ،

باستسلام روح تغنى إلى جسد يرقص .

الاله الاول

انني لن أحوّل عيني إلى وهم الأرض ،
ولن أنظر إلى أولادها في المهمْ البطيء الذي تسميه محبة .
وما هي المحبة ؟
سوى طبل مُقَنَّع يقود موكبًا طويلا من الريب اللذيذ . إلى شكل آخر من الألم البطيء ؟
انني لا أريد أن أنظر إلى هذا الوهم .
وأي شيء تراه هناك —
إلا رجلا وامرأة في الغابة التي نَمَتْ لتصطادهما في نخاخها ،
وتعلمهما أنكار الذات —
وولادة المخلوقات لغدنا الذي لم يولد بعد ؟

الاله الثالث

أفٍّ من الألم الذي تجلبه المعرفة .
والقناع المظلم الذي وضعه تفحُّصنا وتساؤلنا على وجه العالم ،
والاستنهاد الذي نوجهه في كل ساعة للصبر البشري !
فنحن نضع تحت حجرٍ شكلا من الشمع
ثم نقول ، أنه شكلٌ من الطين ،
فليجدْ في الطين آخرته .

ونمسك بأيدينا لهيبًا أبيض ،
ثم نقول فى قلوبنا ،
أنه عبير ذواتنا يرجعُ إلينا ،
ونسمة نسمتنا القالتة منا ،
وبعد ذلك نعمد مفتشين فى أيدينا وشفاهنا عن المزيد من العبير .
فيا اخوتي ، آلهة الأرض
اننا وان كنا فى أعلى الجبل ،
فنحن ما زلنا نسير إلى الأرض —
بواسطة الانسان الراغب فى الساعات الذهبية التى فى نصيب أخيه الانسان .
فهل تسلبُ حكمتنا الجمال من عينيه ؟
أم هل تُخضع مقاييسنا أهواءه فتحملنا إلى السكون ، أو تقودها إلى مستوى أهوائنا ؟

ماذا تقدر أن تصنع جيوش أفكاركم —
حيث تجتمع المحبة بجيوشها الجرارة ؟
ألا ان الذين غلبتهم المحبة ،
وسارت بمواكبها فوق أجسادهم من البحر إلى الجبل .
ومن الجبل إلى البحر ،
يقفون الآن ، وفى كل أوان ، متعانقين بحياء ووقار .
باجتماع أوراق زهور محبتهم يتنشقون عبير الحياة المقدس .
وباتحاد نفوسهم يجدون نفس الحياة ،

وعلى اجفانهم ترتسم صلاة مرتفعة إلينـا .
المحبـة هى ليلٌ منحن بوقار تحت خيمة مقدسة ،
وسماء قد تحولت إلى غابة ،
بل هى جميع النجوم قد تحولت إلى حباحب .
نحن بالحقيقة كل ما وراء العالم وكل ما فوقه .
ولـكن المحبـة أبعد من أن تصل إليها أسئلتنا —
وأسمى من أن تبلغ اليها انشودتنـا .

الاله الثانى

أتطلب دائرة بعيـدة ؟
ولا تهتم بهذا الـكوكب الذى غرست فيه عزيمتك ؟
ليس فى الفضاء مركـز إلاّ حيث تزفّ النفس إلى النفس »
ويكون الجمال شاهداً وكاهنـاً .
فتأمل وانظر الجمال مبعثراً حول أقدامنـا ،
تأمل جيداً كيف يملأ الجمال أيدينـا لينزل العار بشفاهنا .
ان الأبعد هو الأقرب .
وحيث يكون الجمـال ، يكون كـل شئ .
أواه أيها الأخ الحالم الرفيـع ،
ارجع إلينـا من عهد أرض الـكآبة القاتمة !
حرّر قدميك من اللامكان واللازمان ،
وأقطن معنا فى هذه الطمأنينة الآمنـة —

التى ابتنتها يداك وأيدينا حجر فوق حجر .
انزع عنك ثوب خفقان قلبك ،
وكن رفيقاً لنا فى السيادة على هذه الارض الفتية، الحارة بجلال خُضرتها.

الاله الاول

أيها المذبح الخالد !
هل تريد بالحقيقة إلهاً لضحيتك فى هذه الليلة ؟
إذن فأنا قادم ، وبقدومى أقرّب محبتى وألمى .
هنالك تقف الراقصة ، التى نُحِتَتْ من شوقنا القديم ،
والمرنم يصيح بأناشيدى فى أمواج الريح .
وفى ذلك الرقص ، وفى ذلك الانشاد —
يموت إله قدير فى أعماقى .
ان إله قلبي القاطن وراء ضلوع بشريتى ينادي إله قلبي المقيم فى الهواء .
والهاوية البشرية التى طالما عطلت علىّ راحتى تصرخ إلى الألوهية .
والجمال الذى نشدناه منذ البدء يصرخ الى الألوهية .
وفى اصغائى قد قست هذا الصراخ ،
وها أنا ألقى سلاحى .
فالجمال طريق يؤدى الى الذات المقتولة بيدِ ذاتها .
فاضرب أوتارك .
اننى مستعدّ للسير على الطريق .
فهي تمتد الى فجر آخر .

الاله الثالث

قد انتصرت المحبة !

سواء أكانت المحبة بياضاً ناصعاً أو خضرة زاهيـــة بجانب بحيرة ، أو كانت جلالاً ونخاراً فى القباب الرفيعـــة ، أو كانت فى بستان حافل بالناس ، أو فى صحراء لم تطأها قدم الانسان ،

فالمحبة هى ربنا ومعلمنا فى كل حال .

فهى ليست بالشهوة الزائلة فى الجسد .

ولا هى فُتاتُ الرغبة المتساقط من مصارعة الرغبة للذات ،

كلا ، ولا هي بالجسد الحامل سلاحه على الروح .

لأن المحبة لا تعرف الثورة .

ولـكنها تهجر طريق الأقدار القديمة لتسير إلى الغابة المقدسة ،

لترقص وتترنم بأناشيد أسرارها فى آذان الابدية .

المحبة شباب قد تحطمت قيوده ،

ورجولة قد تحررت من عناء الارض ،

وانوثة حارة بلهيب مقدس ، مشرقة بنور سماء أبهى من سمائنا .

المحبة ، ضحك بعيد فى أعماق الروح .

المحبة ، حملة قديرة تسير بك إلى يقظتك .

المحبة ، فجر جديد على الأرض ،

ويوم لم تصل اليه لا عينك ولا عينى ،

ولـكن المحبة قد وصلت إلى قدس أقداسه بقلبها الاعظم .

يا أخويّ ، يا أخوي ،
ان العروس قادمة من قلب الفجر .
لتلاقى عروسها القادم من الغروب .
وسيكون عرسٌ فى الوادى ،
ويومٌ أعظم من أن تدوّن حوادثه .

الاله الثانى

هكذا كان منذ أطلق الصباحُ الاولُ السهولَ
الى التلال والأودية ،
وهكذا سيكون الى بعد المساء الأخير .
ان جذورنا قد أنبتت الأغصان الراقصة فى الوادى ،
ونحن أزهار عبير الانشودة المرتفعة إلى الأعالى .
فالخالد والمائت نهران توأمان يناديان البحر بغير انقطاع .
وليس بين النداء والنداء فراغ قط ، إلا فى الأذن .
فالزمان يزيد اصغاءنا ثقةً ،
ويضيف الى رغباته .
ولا يخرس الصوت فى المائت الغير المرتاب .
أما نحن فقد تسامينا على الشكوك .
فالانسان هو ابن قلبنا الاصغر .
الانسان إله يرتفع الى الوهيته ببطءٍ شديد ،
وبين مسرته وألمه ننام ونحلم أحلامنا .

الاله الاول

دع المرنم يترنم ، والراقصة تحرّك قدميها .
ودعنى أطمئن هنيهة .
ان نفسى تريد أن تستريح الليلة .
فقد يغلبنى النوم ، وفى نومي أرى عالمًا أكثر نوراً من هذا العالم ،
فتأتى مخلوقات أبهى من مخلوقاتنا فتسترق طريقها الى فكرى .

الاله الثالث

انى أنهض الآن فأجرّد نفسى من حدود الزمان والمكان ،
وأرقص فى ذلك الحقل الذى لم تطأه قدما انسان ،
وستتحرك قدما الراقصة مع قدمىّ ،
وسأترنم فى ذلك الملأ الأعلى ،
وسيختلج صوت بشرى مع صوتى .
سنعبر الى الشفق البعيد ،
فقد نستيقظ فى فجر عالم آخر .
ولكن المحبة باقية ،
ولن تمحى آثار أصابعها .
ان الكور المقدس متأجج بالنار ،
وكل شعلة تصعد منه هى شمس محترقة .
فالأجدر بنا ، والأحكم لمصلحتنا —
أن نفتّش عن قرنة صغيرة فننام فى ألوهيتنا الأرضية ،
تاركين أمر قيادتنا الى اليوم المقبل ، الى المحبة البشرية الضعيفة .

انتهى الكتاب



وقد توفى مؤلفه بعد طبعه الطبعة الأولى بأسبوع واحد .

رحمه الله ونفعنا بنبوغه الخالد .

مؤلفات

المرحوم جبران خليل جبران

ص

٢٠ يسوع ابن الانسان

٢٠ النبي

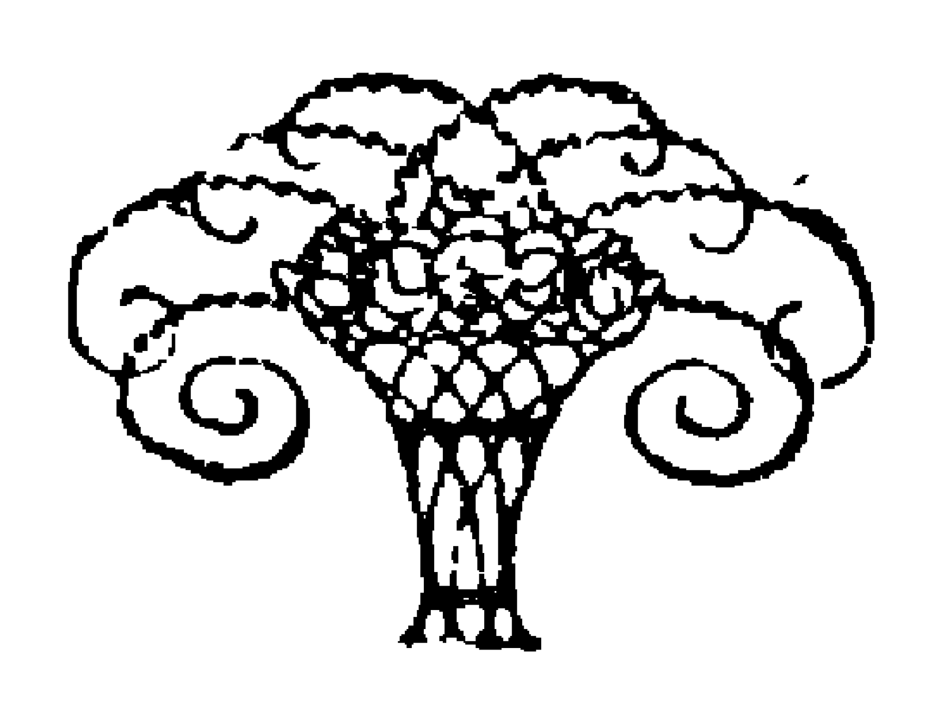
١٥ كلمات جبران

١٠ المجنون

١٠ رمل وزبد

١٠ السابق

٥ آلهة الأرض




المطبعة العصرية


Bibliotheca Alexandrina
03380161